رثاء أهل البيت عليهم السلام في الشّعر المعاصر اللبنانّي

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الرضا عطاشي

الباحث
سيد نظام الدين مرتضوي

Abdolrezaattashi2014@gmail.com

جامعة آزاد الإسلامية ـ آبادان
جمهورية إيران الإسلامية

١ـ المقدّمة:

إنّ الرثاء من أبرز وأقدم أغراض الشعريّة ومن الموضوعات البارزة في الشعر (ضيف، ١٩٨٨: ٥) ويعتبر أصدق أنواع الشعر (عبّود، ١٩٦٠م: ص٨١) الذي اعتنى به الشعراء ونظموا فيه أشعاراً لأنّ الرثاء وليد انفعال صادق ومعاناة مؤلمة.

وأهميّة هذا الفنّ الغنائي تكمن في تصويره للوجدان الفردي وما ينتابه من أحاسيس أمام فاجعة الموت التي تعد من أقدم ما يواجهها الوجود الإنساني. والشعراء منذ القديم بذلوا اهتماماً خاصاً لهذا الفنّ، وقد نظموا الكثير من القصائد في رثاء الأقارب والأباعد، كما نظموا المراثي في رثاء عظماء الدين وكبار العلماء. والرثاء بلا منازع أقدم أغراض الشعر العربي "ويجمع كثير من المؤرّخين أنّ أوّل قصيدة قيلت في الشعر العربي كانت في الرثاء" (الجمحي، ١٩٧٤م، ص٢٢).

واستمرّ الرثاء مع توالي العصور إلى عصرنا الراهن فنرى في دواوين الشعراء في العصور المختلفة مراثي كثيرة، وأنها نظمت في فقدان العزيز، أو سكب الدموع أمام سلطان لينال الشاعر حظوته، ولمراثي أهل البيت صلى الله عليه وآله مكانة مرموقة في الأدب العربي في العصور المختلفة فلم يكن هناك شاعر سمع أو شاهد مأساة آل البيت عليهم السلام إلاّ وقد نظم في رثائهم قصيدة، وهذا لا يختصّ شعراء الشيعة فحسب بل تجاوزته إلى آداب غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى فقد نظموا قصائد صادقة في رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله.

وقد تناول هؤلاء الشعراء في نظم قصائدهم في رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله مواضيع مختلفة وقاموا بالدفاع عن آل البيت عليهم السلام ووصف مصائبهم والمحن التي واجهها أهل البيت عليهم السلام

أثناء حياتهم.

لم يتّبع الشعراء في نظم مراثي أهل البيت عليهم السلام طريقاً واحداً ولكن نتمكن من خلال دراسة هذه المراثي أن نأتي ببعض الميزات المتبعة في هذه المراثي منها: إنّ المراثي تبدأ في معظمها بذرف الدمع والنواح والندب، ومن ثمّ يذكر الشاعر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وذكر بعض أحاديث من الرسول صلى الله عليه وآله التي تدلّ على الخلافة ووصيته في حبّ آل البيت صلى الله عليه وآله، وذمّ أعداء آل البيت عليهم السلام، وذكر المصائب والمحن التي حلّت بهم. فجاءت أكثر مراثي آل البيت عليهم السلام تدلّ على الندب وتعتبر من الرثاء العاطفي.

وقد تأثّر الشعراء أشدّ التأثير بواقعة الطف وأحداثها وما أصاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، فنرى المراثي التي نظمت في هذا المجال أكثر من غيرها، وهي تتميّز بحرارتها وإثارتها للعواطف. والأمر الذي يلفت النظر أنّ المراثي التي نظمها الشعراء في العصور المختلفة في رثاء الأقارب، وعظماء الدين والحكام تختصّ بذلك العصر ولكن رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله لا يختصّ بعصر دون العصور بل قد اهتمّ الشعراء في جميع العصور الأدبيّة برثاء آل البيت صلى الله عليه وآله وقد صوّروا عظمتهم ومكانتهم في القلوب.

فهذا الغرض العشري مازال متدفّقاً حتّى عصرنا الراهن فهناك شعراء قد نظموا قصائد في رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله منهم شعراء لبنان وهم على دين المسيح عليه السلام، فانجذبوا إلى أهل البيت عليهم السلام وطريقتهم ونظموا القصائد في رثائهم.

إنّ الهدف المتوخّى من هذا المقال هو دراسة مراثي أهل البيت صلى الله عليه وآله التي نظمها شعراء لبنان المعاصرين ونسعى في هذا المجال أن نقدّم ميزات المراثي التي اعتنى بها الشاعر المعاصر في نظمها، والمواضيع التي اهتمّ بها الشاعر في رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله منها: اظهار الحزن والألم من استشهاد أهل البيت صلى الله عليه وآله، ذكر فضائل أهل البيت صلى الله عليه وآله وعظمتهم، وصف المصائب والمحن التي واجهها أهل البيت عليهم السلام ودور أهل البيت عليهم في تعزيز دين الإسلام وإحيائه وسنصل إلى هذه الأهداف من خلال الدراسة التحليلية والوصفيّة لقصائد هؤلاء الشعراء.

نسعى في هذا البحث الإجابة على هذه الأسئلة:

ما هي المواضيع التي اعتنى بها الشعراء في رثائهم لأهل البيت ﷺ؟

ما هي الأسباب التي دعت شعراء لبنان المعاصرين إلى رثاء أهل البيت ﷺ؟

وما هي ميزات مراثي شعراء لبنان المعاصرين في آل البيت ﷺ؟

وأمّا حول خلفيّة البحث فهناك بعض الدراسات تناولت موضوع أهل البيت عليهم السلام في شعر لبنان المعاصر، منها: رسالة تحت عنوان "بررسی زندگی جورج شكور و ملحمة الأمام علي عليه السلام" للطالب رضا محمدي ماوي من جامعة آزاد طهران، ورسالة جامعية تحت عنوان ((تجلی غدير خم در شعر معاصر لبنان))، للطالبة افسانه نور محمدي من جامعة قم، ورسالة تحت عنوان ((بررسی سيمای امام علی عليه السلام در شعر شاعران مسيحي معاصر لبنان)) للكاتبة زينت شريفان من جامعة تربيت معلم سبزوار، ومن المقالات يجدر الإشارة إلى مقالة "الإمام علي عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر" للكاتب تورج زيني وند، ومقالة "امام علی عليه السلام و نهج البلاغة از نگاه ((ريمون قسيس)) شاعر مسيحي معاصر لبناني)) للكاتبة زهرا أفضلي، ومقالة "ولادت حضرت علی عليه السلام در خانه ی كعبه از ديدگاه انديشمندان و شاعران مسيحي عرب در دوران معاصر" للكاتبة مريم حكمت نيا والكاتب جعفر دلشاد، ومقالة "رثاء الإمام الحسين عليه السلام في ملحمة عيد الغدير"، للكاتبين علی پيرانی شال وحسين روستايي.

٢- الرثاء في اللغة والمصطلح:

٢- ١- الرثاء في اللغة:

عندما نعود إلى مخازن التراث في اللغة العربية وهي من أغنى المخازن، نجد ثلاثة أصول لكلمة الرثاء، حدّدها علماء اللغة في معاجمهم وهذه الأصول هي:

١. الأصل الأول: "رثأ" مهموزة الألف، وتدلّ على معنى الخلط والاختلاط. نقول: أرثأ اللبن: خثُر وفي المثل "الرثيئة تُفتأ الغَضَب". والرثيئة: اللبن الحامض يحتلب عليه فيخثر، ومنها ارتثأ عليهم أمرهم إذا اختلط. (زمخشری، ١٩٧٩: ١٥٤).

٢. أمّا الأصل الثاني فهو: "رثى" بالألف اللينة ومضارعه "يرثي" و"المرثية" بالفتح "وجع

في الـركبتين والمفاصـل" (الجـوهري، بلاتـا: ٣٠٩/١٤) والأصـل يـدلّ علـى رقّـة وإشفاق، يقال رثيت لفلان: رققت، ومنه قولهم: رثى الميت بشعر، ورثت المرأة بعلها ترثيه رثاية. (ابن منظور، ١٩٩٧: مادة رثا: ٣٠٩/١٤).

٣. أمّـا الأصـل الثالـث فهـو: "رثّ" بالتضـعيف، وهـو أصـل واحـد يـدلّ عـل أخـلاق وسـقوط. يقـال: ثـوبٌ رثّ، ورجـل رثّ الهيئـة. (ابـن فـارس،١٩٧٩: ٣٨٤/٢). والمرتـث: الصـريع الـذي يـثخن في الحـرب ويُحمَـل حيـاً ثـمّ يمـوت. (ابـن منظـور، ١٩٩٧، مادّة رثث: ١٥١/٢).

٢- ٢- الرثاء في المصطلح:

كلمـة "الرثـاء" اصـطلاحاً تعـني: بكـاء الميـت وذكـر مناقبـه شـعراً أو نثـراً. و"المرثيـة" و"الرثـاء": بكاء الميت وتعداد محاسنه، فيقال: "رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً إذا بكاه بعد موته، ورثوت الميت إذا بكيته وعددتُ محاسنه" (ابن منظور، ١٩٩٧م، مادّة رثا، ٣٠٩/١٤). ورثيث الميت بالشعر، وقلت فيه مرثية ومراثي. وقد ورد جمع "المرثية" على "مراثي" ولك يرد جمع للرثاء. (الزمخشري، ١٩٧٩م، ص١٥٥). إذن كما يقول الأستاذ، مقبول علي بشير النعمة في كتابه "المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام" هي: "القصيدة أو القطعة الشعرية أو الأثر الأدبي الذي تتخذ الرثاء موضوعاً لها، أمّا الرثاء فهو الإشفاق والحزن، وهو أمر معنوي". (النعمة، ١٩٩٧م، ص١٥).

وهو ((بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئنّ الشاعر ويتفجّع، إذ يشعر بلطمة مروعة تصوّب إلى قلبه، فقد أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه، وهو يترنّح من هول الإصابة ترنح الذبيح، فيبكي بالدموع الغزار، وينظم الأشعار يبث فيها لوعة قلبه وحرقته)). (ضيف: ١٩٨٨: ٥). ويعتقد قدامة بن جعفر أنّ ((الرثاء: البكاء على الميّت وعدّ محاسنه شعراً)). (قدامة بن جعفر، ص ١١٨). ونستخلص من هذا التعريف أنّ الرثاء يقوم على أساسين: الأوّل هو التعبير عن مشاعر الحزن ولا رثاء بدونه، والثاني ذكر محاسن المرثي له وأمجاده.

أمّا البكاء على الميت والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى أمر ضروري إذ لا يستقيم

الرثاء بدونه، وهذه العاطفة هي التي أشار إليها "ابن رشيق" في تعريفه الرثاء: ((وسبيل الرثاء يكون ظاهر التفجّع بيِّنَ الحَسرة)). (القيرواني، ١٩٧٢م: ١٤٧/٢).

ولقد تداخل المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي للرثاء فأصبح المعنى يمثّل مدلولاً واحداً عند بعض النقاد. وقد أشارت بشرى الخطيب إلى ذلك بقولها: ((إنّ الرثاء يعني بكاء الميّت وتعداد محاسنه بالشعر والنثر)). (الخطيب، ١٩٧٧م، ص٢٩)

ولكل أمّة مراثيها، والأمّة العربيّة من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي، وهي تأخذ عندها ألواناً ثلاثة وهي، الندب، والتأبين والعزاء (ضيف، ١٩٦٠م: ص٥) وسنتطرّق إلى دراسة أنواع الرثاء فيما يلي:

"الندب": هو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئنّ الشاعر ويتفجّع وينظم الأشعار ليبث فيها لوعة قلبه وحرقته. (نفس المصدر).

"التأبين": وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً على هذا النحو، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيُشيد به الشعراء منوهين بمنزلة السياسية أو العلميّة أو الأدبيّة، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة الناس فيه. ومن هنا كان التأبين ضرباً من التعاطف والتعاون الاجتماعي، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنّما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهمّ من أفرادها، ولذلك يسجل فضائله ويلحّ في هذا التسجيل وكأنّه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً حتّى لا تُنسَى على مرّ الزمن. (نفس المصدر، ٦).

أما "العزاء": مرتبة عقليّة فوق مرتبة التأبين، إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفرديّة التي هو بصددها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة، فإذا بنا نجوب معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود. ومردُّ هذا كله أن الحياة ظل لا يدوم. (نفس المصدر).

ونشاهد هذه الألوان الثلاثة من الرثاء في جميع مراثي الشعراء من العصر الجاهلي إلى عصرنا الراهن، سواء أكان رثاءً خاصاً اتجه إلى بكاء النفس، و القريب، أو القوم، أم رثاءً عاماً فرضته المجاملة وطبيعة الحياة الاجتماعية. ولا يختصّ الرثاء بالشعر بل هو شائع في النثر والشعر ولكن غلب هذا الفنّ في الشعر.

٣- الرثاء في الأدب العربي:

عرف العرب شعر الرثاء منذ العصر الجاهلي لأنّ الرجال والنساء جميعاً كانوا يندبون الموتى، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبّنين لهم مثّنين على خصالهم، وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت، وأنّ ذلك مصير محتوم. (أنظر: ضيف، : ص٧).

شعر الرثاء فهو كان في أصله ((تعويذات للميت حتى يطمئنّ في قبره)) (ضيف، ١٩٦٠م، ص١٩٦). ولابدّ أن هذه الصورة الأوليّة من الرثاء خضعت لتطورات عديدة إلى أن أخذت شكلها القصيدة الناضجة. ويحدّثنا ابن سلاّم الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء أنَّ ((أوّل من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل)) (الجمحي، ١٩٧٤م، ج ١ ص٣٩) وفي هذا الخبر دلالات هامّة منها:

١- أنّ وقوع الموت كان من أقوى دوافع الشعراء لنظم الأشعار في الرثاء.

٢- أنّ شعر الرثاء وليد انعال صادق ومعاناة مؤلمة.

٣- أنّ الإنسان المحزون يحاول أن يتخفف من أحزانه بواسطة الشعر.

وتطوّرت قصائد الرثاء في العصر الجاهلي إذ نرى قد استخدم في نظمها من وسائل فنيّة كثيرة، وقد نوّعوا هذا الفن تنويعاً واسعاً كما اهتمّ الشعراء بصورهم واستعاراتهم وتشبيهاتهم في نظم هذا النوع من الشعر، مع العناية التامّة بموسيقاهم وأوزانهم والملاءمة بين أنغامهم وشعور الحزن الذي يتعمّق قلوبهم وأفئدتهم.

وكان يساهم في هذا الفنّ النساء الرجال والنساء، بل ربما كان للنساء حظ الأوفر من القيام عليه، إذ كنَّ هُنّ اللائي يقُمنَ على ندب الميّت أيّاماً، بل ربّما امتدّ قيامهن عليه سنوات، وقد يقمن بذلك في مجالس القبيلة وعلى القبور وفي المواسم العظام كموسم عُكاظ.

ومن الطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في ندب الموتى والنواح عليهم، لأنّ المرأة أدقّ حسّاً وأرقّ شعورا، وأيضاً فإنّ حياة الرجال كانت تقوم على القتل وسفك الدماء والتفاخر بالشجاعة والبطولة، فكانوا يأنفون أن يقعدوا للبكاء وذرف الدموع كالنساء، بل

لقد ذهبوا يظهرون التجلّد والصبر على من يموت منهم. (أنظر: ضيف، ص٨).

وهذه الصور الجاهليّة للرثاء استمرّت في أدبنا العربي مع عصوره المختلفة، تارة تنمو وتارة تتطور، تحت تأثير نموّ العقل العربي من جهة، وتطوّر حياة العرب واختلاف الأحداث عليها من جهة ثانية، ولكنّها في جملتها ترتد إلى هذه الصور الجاهلية، وتشتقّ منها كما يشتق الفرع من أصوله. (نفس المصدر).

٤- رثاء اهل بيت عليهم السلام في شعر شعراء لبنان:

إنّ دراسة شعر شعراء لبنان المعاصرين، تبين لنا أن أدب هذا القطر العربي قد شاهد تطوراً ملحوظاً في العصور المختلفة، إنّ أدب لبنان قد تأثرت فيه الظروف السياسية والاجتماعية حيث نرى أنّ الأدب أصبح وسيلة لتحسين هذه الظروف في عصرنا. وإذن نرى الأدب جاء ملتزماً في خدمة شعر المقاومة والدفاع عن الإيمان والعقيدة. والشعراء من مذاهب وأديان مختلفة كالمسيحيّة وغيرها قاموا بالدّفاع عن وطنهم وعقيدتهم وإيمانهم، واتخذوا عظماء الدين أسوة لأنفسهم، فجاء شعرهم شعراً ملتزماً، فأهل البيت صلى الله عليه وآله هم أسوة الدفاع عن الدين، والعقيدة، والإيمان، فبهذه الأسباب نرى شعراء لبنان انجذبوا إلى أهل البيت صلى الله عليه وآله.

أما القصائد التي نظمت في رثاء الإمام الحسين عليه السلام فهي أكثر ظهوراً في شعر شعراء لبنان. فإنّ شعراء لبنان على دين المسيح قد نظموا قصائداً في رثاء الإمام الحسين عليه السلام حيث جعلوا العلاقة بين دين الإسلام ودين المسيح فإنّ الحسين عليه السلام وشخصيّته العظيمة قد دخلت في إطار الأدب العالمي بأكمله. وفي الحقيقة إنّ الإمام عليه السلام لا يختصّ بمذهب خاص، ولا يتعلّق بدين واحد، فإنّ عظمة الحسين عليه السلام بعظم البشرية. ومن جهة أخرى إنّ الاستشهاد من أجل العقيدة والإيمان، قد جعل مدلولاً مشتركاً بين شعراء لبنان المسيحيين والمسلمين حيث أصبح الإمام الحسين عليه السلام الحوار المشترك بين الإسلام ودين المسيح.

ولم يكتف شعراء لبنان في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء بوصف الأحداث والمصائب التي شهدها آل الرسول صلى الله عليه وآله في واقعة الطف، بل جعلوا علاقة بين الماضي والحاضر لمعالجة مأساتهم في عصر الراهن وما يعاني الشعب من ظلم واضطهاد، وأن

يذكروا الحسين عليه السلام وتضحيته في سبيل إرساء العقيدة والدين وأن يجعلوا منه أسوة لبعث الشعوب من جديد ومقاومة الظلم والوقوف في وجه الطغاة. فلهذا يصبح الحسين عليه السلام أسوة المقاومة والاستشهاد في شعر شعراء لبنان المعاصرين.

وقد تطرّق الشعراء في رثائهم لآل البيت صلى الله عليه وآله إلى مواضيع مختلفة منها التعبير عن الحزن، وذكر فضائل آل البيت صلى الله عليه وآله ومناقبهم، ووصف المصائب والمحن التي حلّت بهم، ودور أهل البيت صلى الله عليه وآله في إحياء دين الإسلام.

٤- ١- التعبير عن الحزن في رثاء اهل البيت عليهم السلام

في جميع قصائد الرثاء يبدأ الشاعر رثائه بالبكاء ويصوّر الحزن والألم الذي حلّ به إثر فاجعة فقدان الأحبّة والأصدقاء والأقرباء و... وهذه أوّل مرحلة من الرثاء التي تسمّى "الندب". في هذا المقطع من قصيدة الرثاء، يسعى الشاعر أن يعبّر عن شعوره وعواطفه تجاه الحبيب الذي فارقه ورحل وأن يصف المعاناة التي يتحمّلها بسبب هذا الفقدان ويسعى أن ينقل هذا الشعور والعاطفة إلى المتلقي عبر الأحاسيس التي تحملها مفردات الشعر فيختار الشاعر أدقّ المعاني والصوّر التي تثير انتباه الشاعر وشعوره وعواطفه كأنّ المتلقي هو الذي أصاب بهذا الفقدان المفجيء.

ولا تستثنى المراثي التي نظمت في رثاء أهل البيت عليهم السلام إذ نرى هذه المراثي كغيرها تبدأ بالندب والتعبير عن الحزن والأسى في استشهاد أهل البيت صلى الله عليه وآله ولكن الشاعر يمزج رثائه بالقداسة التي يمتلكها المرثي له فيختار المعاني والصوّر الأدبيّة التي تدلّ على عظمة آل البيت صلى الله عليه وآله.

فيسعى الشاعر أن يتكلّم عن هذا الشعور بالحزن والألم وأن يعبير عنه بالعواطف الصادقة، فلاستشهاد أهل البيت صلى الله عليه وآله مكانة عظيمة في مراثي شعراء لبنان. **جوزيف الهاشم** من أدباء وعلماء ورجال السياسة في عصرنا الراهن له قصيدة رثاء في حقّ الإمام علي عليه السلام. فيعتقد الشاعر في أبيات من هذه القصيدة أنّ الأمّة الإسلاميّة بل البشريّة قد خسرت خسراناً عظيماً باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول:

يـــا ((ابـــن مُلجِـــمَ)) إنَّ سَـــيفَك خاسِـــئٌ السَّـــيفُ زَيـــفٌ والـــرَّدَى أوهَـــامُ

ظَفَـــرَ العَلِـــيُّ، وفـــازَ يَـــومَ سُقُوطِـــهِ ... وَسَمَـــــا، وَرَبُّ الكعبَـــــةِ العَـــــلاّمُ

أمَّ الصَّـــلاَةَ مُضَـــرَّجاً بِـــدَمِ التُّقَـــى ... وَكأنَّمـــا الجُـــرحُ المُمِـــيتُ وِســـامُ

وكـأنَّ أهـلَ البَيـتِ، مـا اشـتاقُوا سِـوَى ... دَربِ الشَّـــهادَةِ، وَالجِـــهَادُ مَـــرَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠: ص١٨)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى تلك العبارة التي قالها الإمام علي عليه السلام في أثناء صلاة الصبح عندما ضربه ابن ملجم المرادي في أمّ رأسه، فقال عليه السلام: ((فزتُ و ربِّ الكعبة)) وتشير هذه العبارة إلى غربة الإمام عليه السلام واشتياقه إلى الإستشهاد، وهذه هي الطريقة التي اتّبعها أئمّة الأطهار عليهم السلام في حياتهم، طريقة الاستشهاد ونشر راية القران والإسلام.

لم يكن استشهاد الإمام علي عليه السلام حادثة مفجعة فحسب، بل هو رمز الصمود وتضحية النفس من أجل العقيدة والإيمان وهو رمز لكلّ انسان حرّ ولكلّ من أراد أن يدافع عن عقيدته وأن يقف صامداً في وجه الظالمين. فيقول الشاعر:

هَـــل يَنطَـــوِي دِيـــنٌ وَأنـــتَ شَـــهِيدُهُ ... وَلَـــهُ بِشَـــمخةِ مَنكبَيـــك دِعـــامُ

(همان؛ ص٢٥)

فيعتقد الشاعر أنّ الدين الذي استشهد من أجله أمير المؤمنين عليه السلام سيبقى على مدى الحياة ولن ينمحي من أذهان العالم، لأنّ دعائم هذا الدين سترتفع على منكبي شهيد كأمير المؤمنين. قد شبّه الشاعر منكبي أمير المؤمنين عليه السلام بالدعائم والأعمدة التي يبقى عليها الدين مستحكماً. وبهذا أشار الشاعر إلى عظمة الإمام عليه السلام ودوره في تحكيم أساس الدين.

ولبولس سلامة من شعراء لبنان قصيدة تحت عنوان "ملحمة عيد الغدير"، فالشاعر في هذه القصيدة يتكلّم بعاطفة صادقة عن استشهاد الإمام علي عليه السلام ويذرف الدمع في رثائه ويعتقد أنّ الإمام عليه السلام هو النور الذي انطفأ من قبل أن يصل أوانه؛ فيقول:

هـــات يـــا شعـــرُ أدمعـــاً لرثـــائه ... غـــاب ضـــوءُ النهـــار قبـــل انقضـــائه

واذكـــر النســـرَ عاليـــاً لم يُدنّـــس ... فالأثـــير الطهـــورُ في أجوائـــه

يكســـف الشـــمسَ بالجنـــاح عريضـــاً ... و يســـدُّ الفضـــاءَ رحـــبُ فضائـــه

زوجَ بنـــت الرســـول خلقُـــك أسمـــى ... مِـــن منـــاط العيّـــوق في إســـرائه
شيمـــة النـــور أن يظـــلّ نقـــياً ... لا يمـــسّ الغبـــارُ كـــنه صفاتـــه

(سلامة، ١٤٢٣هـ، ص١٨٣-١٨٧)

فالشاعر في هذه الأبيات يتكلم عن عظمة الإمام عليه السلام ويشبّه الإمام علي عليه السلام بالنسر في علوّ شأنه وشجاعته ويعتقد أن مكانة الإمام عليه السلام أعلى من العيوق في السماء، ونور هدايته لا يمسّه الغبار، وهو سيبقى حيّا على مدى العصور.

ويواصل الشاعر القصيدة:

ليـتَ يـوماً قـد جـاء بـابن مـرادٍ ... كفّنـتْـه العصـورُ في دهمـائه
ايـه عبـدَ الرحمـن نـذل مـرادٍ ... يـا عـدوّ السـماء في بغضـائه
جهـش المسجـدُ اليتيـم بكـاءً ... حـين غـاب الإمـام مـن فقهـائه
وبَكَـى الشَّـطُّ وَ الفُـراتُ وغَاضَـت ... زقـزقاتُ الهَـزار في غيـنائه

(نفس المصدر)

يعتقد الشاعر أن الإمام علي عليه السلام باستشهاده في محراب المسجد الذي هو موضع الإيمان، قد يتّم الدين. قد جاء الشاعر بهذه الصورة الأدبيّة كأنّ المسجد من أبناء الإمام عليه السلام وباستشهاده قد تيتّم المسجد وتجهّش بالبكاء. ويجعل الشاعر هذا المأتم يسير في جميع كيان العالم حيث يبكي شطّ الفرات، العصافير والهزار و... .

ويشير الشاعر "بولس سلامة" في المقطع الأخير من قصيدته إلى واقعة الطفّ. إنّ الشاعر قد تأثّر من أحداث كربلاء وأحبّ الحسين عليه السلام من صميم قلبه وفؤاده حيث امتزج هذا الحبّ بروحه، فهو لا يكتفي بذكر مواقف تاريخيّة من واقعة عاشوراء، بل يعبّر عن مشاعره وعواطفه ويصوّر هذه الأحداث والمواقف معبراً عن أحزانه. فالشاعر في مقطع من هذه القصيدة، يرى أحزان عاشوراء تملأ العالم بأسره، حيث يرى الأنهار، والأشجار، والطيور تأنّ حزناً وألماً بسبب واقعة عاشوراء. وجميع العالم يرثي الحسين عليه السلام محزوناً؛ فيقول:

أدمُـــع الطَّـــفِّ والفُـــرات وغاضَـــت ... زَقـــــزَقاتٌ في أيكـــــة غينـــــاءا

صُبِـــغَ النَّهـــرُ قانيـــاً وَتَـــدلَّت ... شَـــجراتٌ تكـــادُ تُلقِـــي الرّثـــاءا

أرسَـــلَ العَنـــدليبُ شـــجوَ جَـــريحٍ ... واســـتحرَّت فِيـــهِ الـــدُّمُوعُ دِمـــاءا

حَسِـــبَتهُ العُيُـــونُ تَـــرجيحَ صَـــبٍّ ... بَاعَدتـــهُ الأيّـــامُ عـــن حَســـناءا

وهـــوَ لَـــو تَعلَـــمُ العُصُـــونُ نـــواحٌ ... بَـــثَّ فِيهَـــا الأسَـــى بِعاشُـــوراءا

(سلامة، ١٩٨٦: ٢٨٦-٢٨٧)

ويذكر الشاعر **((جوزيف الهاشم))** ثورة عاشوراء واستشهاد أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطفّ، ويذرف الدّموع ويبكي، ولكن تمتزج مع دموعه فرحة لأنّ استشهاد الإمام عليه السلام وأصحابه في الحقيقة هو انتصار الدين وهم الذين فازوا فوزاً عظيماً باستشهادهم وقد خسر أعداء الإسلام وإن هم كانوا قد انتصروا بالظاهر؛ فيقول:

إن يَغـــدُرِ السَّـــيفُ، وَالإســـلامُ مُنتَصِـــرٌ ... فَالثَّغـــرُ يَفتَـــرُّ عِنـــدَ الحُـــزن وَالألَـــمِ

تَبكيـــكَ ثَـــورَةُ عاشُـــوراءَ في طَـــرَبٍ ... وَالـــدَّمعُ يَنســـابُ رَقـــراقاً مَـــعَ النَّغَـــمِ

(الهاشم، ص٦٥)

أما **الشاعر جوزيف الحرب** في قصيدة تحت عنوان "بكائية رأس الحسين" يرثي الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ويصوّر ذلك المشهد الذي دخلت رؤس شهداء كربلاء في بلاط يزيد بن معاوية، ويشبّه رؤوس الشهداء على الرماح بالمنارات التي تدخل بعضها تلو الآخر، فيقول:

"ثلاث وسبعون رأساً/ ورأس الحسين طليعتها/ منارةٌ خلفها منائر/ دخلت البلاط اليزيدي على سن ثلاثة وسبعين رمحاً../ فهل لشمس بعد أن تشرق ؟!/ ولفرات بعدُ أن ينساب !/ ولريح بعدُ أن تهب !/ ولطائر بعد أن يسحب جناحيه !/ ولنبت بعد أن يُمرع !/ ولقضاء بعد أن يعدل !/ ولحكم بعد أن يستوي !/ ولدين بعد أن يشيع !/ ولسلام بعد أن يسود ... ". (العاملي، ١٤٢٢هـ.ق: ٤٧).

إنّ الشاعر في هذا النصّ الشعري يرى أن الحزن يسري في جميع العالم بسبب استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فالشمس لا تشرق من بعده، والفرات لا يجري والريح

لا تهب والطائر لن يحلق في السماء، والزرع لا ينمو و... فالشاعر يقيم العزاء في كلّ أركان العالم.

٤-٢- ذكر فضائل أهل بيت عليهم السلام:

إنّ الشاعر في رثائه يذكر محاسن الميّت، وفضائله وحسبه ونسبه وهذا ما يسمّى التأبين، وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيُشيد به الشعراء منوّهين بمنزلته السياسية أو العلميّة أو الأدبيّة، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة الناس فيه. ومن هنا كان التأبين ضباً من التعاطف والتعاون الاجتماعي، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهمّ من أفرادها، ولذلك يسجل فضائله ويلحّ في هذا التسجيل وكأنّه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً حتّى لا تُنسَى على مرّ الزمن. (ضيف، ١٩٦٠: ٦).

إنّ شعراء لبنان المعاصرين أيضاً في رثائهم لأهل البيت صلى الله عليه وآله، ذكروا فضائلهم ومحاسنهم، وقد وصفوا هذه الفضائل في أشعارهم، إنّ أهمّ الفضائل والمحاسن التي قام الشاعر لبنان المعاصر بذكرها ووصفها هي: ذكر حسب ونسب اهل البيت عليهم السلام، ذكر الصفات الأخلاقيّة، الإيمان والعقيدة، الشجاعة، الجود والكرم، الصبر والصمود في سبيل الإيمان و...

إنّ الشاعر المعاصر بولس سلامة، يذكر الإمام علي عليه السلام في شعره بالقاب مختلفة كـ: ((سدرة المنتهى في الكمال الإنساني))، و((عليُّ العصور)) (سلامة، ١٤٢٥: ٢٧٧)، وهو يتكلّم عن عظمة الإمام عليه السلام وفضائله ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الإمام عليه السلام لمناصرة أفضل أنبيائه. والإمام علي عليه السلام هو نور الهداية الذي يهدى به الضالّون، يقول:

هاشِـــميٌّ صـــافِي الفِرَنـــدِ، بَـــراهُ ... اللّهُ نَصـــراً لِمُصـــطَفى أنبيـــائِهِ
في خِضَـــمٍّ مِـــنَ الضِّـــياءِ رَحيـــبٍ ... صَـــبَّ فيـــهِ الإلـــهُ فَـــيضَ بَهـــائِهِ
يـــا عَلِـــيَّ العُصُـــورِ ذِكـــرُكَ نُـــورٌ ... وَهُـــدًى لِلنّفـــوسِ إن ضـــلَّ تائـــهِ

(مؤسسة الحكمة، ٢٠٠٩: ٢٦١)

والشاعر المسيحي المعاصر "جوزيف الهاشم" الذي يعدّ من أبرز شعراء النصرانيّة في الأدب المعاصر، له ديوان شعر تحت عنوان ((علويات، قصايد من وحي الإمام)) يثبّت فيه

ولاءه الحاسم والصادق لعلي عليه السلام وآل البيت صلى الله عليه وآله. ويعتقد أن الإمام علي عليه السلام في أعلى ذروة الصفات الإنسانية فلم يكن هناك من يعتلي الإمام عليه السلام سوى الله ونبيه محمّد صلى الله عليه وآله، في قصيدة تحت عنوان ((أهل البيت)) يخاطب الامام حسين عليه السلام ويقول:

يَـا ابْـنَ العَلِـيّ، وَمَـنْ يَعْلُـو العَلِـيَّ سِـوَى ... إثنَـيْنِ: رَبِّـك فَـوْقَ الرُّسُـلِ كلِّهِـمِ
وَأحْمَـدٍ فِي ذُرَى الإسْـلامِ، قَـدْ خَتَمَـتْ ... بِـهِ النُّبُـوَّةَ، كـفُّ الحَـاكمِ الحَكَـمِ

(الهاشم: ص٥٨)

وفي موضع آخر يتكلّم الشاعر عن نَسَب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ويمدحه، ويذكر بعض صفاته كمولود الكعبة، ويعتقد أن ليس هناك لا في قديم الزمن ولافي المستقبل، من يستطع أن يصل إلى هذه المكانة أن يكون وليد الكعبة، فيقول:

نِعـمَ العَلِـيُّ وَنِعـمَ الإسـمُ وَاللَّقَـبُ ... يـا مـن بِـهِ يَشـرَئِبُّ الأصـلُ والنَّسَـبُ
البَاذِخَـان: جَنَـاحُ الشَّـمسِ ظِلُّهُمَـا ... والهَـاشِمِـيّان: أُمٌّ حُـرَّةٌ وَأبُ
لاقَ بَـلْ، لا بَعـدُ، فِي بيـت الحـرامِ شَـدا ... طِفـلٌ، ولا اعتَـزَّ إلاّ بِاسمِـهِ رَجَـبُ

(الهاشم، ١٩٩٩، ص٣١)

ويذكر الشاعر أيضاً صفة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام وهي أسبقيّة الإمام عليه السلام في الإيمان حيث سبق الناس بالإيمان فكان أوّل من آمن بالله والرسول صلى الله عليه وآله في حين كان الناس يعبدون الأوثان ويشركون بالله، فيقول:

يَـومَ الفَسَـادِ طَغَـى، وَالكفـرُ مُنتَشِـرٌ ... وَغَطـرَسَ الشِـرك، وَالأوثـانُ تنتصـبُ
اللهُ كرَّمَـهُ، لا ((للسُّجُـودِ)) لَهَـا ... وَلا بِمَكَـةَ أصنَـامٌ ولا نُصُـبُ

(نفس المصدر، ص ٣١)

ويضيف:

سَـيفُ الجِهـادِ، فَـتى، لـولاهُ مـا خَفَقَـت ... لِدَعـوَةِ اللهِ، رَايـاتٌ وَلا قُبَـبُ
تَجَسَّـدَت كـلُّ أوصـافِ الكمـالِ بِـهِ ... فِي وَمَـضِ سَـاعِدِهِ الإعصـارِ والغَضَـبُ
هُـوَ الإمـامُ، ((حُسـامُ الـدِّينِ))، فارِسُـهُ ... مَـا زَغـردَ السَّيـفُ إلاّ بَـينَ قَبضَتِـهِ

(نفس المصدر، ص٣٤تا ٤٥)

ومن الفضائل التي يشير إليها الشاعر حول الإمام عليه السلام، سعة علمه، وفي هذا المجال يذكر الإمام عليه السلام بألقاب كـ: ((سيّد البيان)) و((باب العلم))، ويعتقد أنّ علم الإمام ينهل من القرآن الكريم، فيقول:

سيِّدُ البَيان، و((بابُ العِلمِ)) مَشتَرِعاً ... وَالفِقهُ مُذ كانَ نَهجٌ مِن بلاغَتِهِ
يعُبُّ مِن مَنهَلِ القُرآن، يحفَظُهُ ... وَالنَّهجُ كالبحرِ، فاغرُف مِن غَزارَتِهِ
لِسانُهُ حُجَّةٌ لِلمُشرِكينَ إذا ... ضَاقُوا بِحُجَّتِهِ، هَانُوا بِساحَتِهِ

(نفس المصدر، ص٤٥-٤٨)

يصور الشاعر في هذه الأبيات العلاقة الوثيقة فيما بين القرآن وكتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام، ويعتقد أنّ الإمام علي عليه السلام قد تلقّى معارف القرآن الكريم من صميم وجوده واحتفظ بهذه المعارف في قلبه وعمل بها قولاً وفعلاً في حياته. (هيفا، ٢٠٠٥: ص٣٣٣).

ومن الصفات الخلقيّة والفضائل التي اعتنى بها الشاعر المسيحي المعاصر في قصائده في رثاء الإمام علي بن ابي الب عليه السلام وأمعن فيها، هو الزهد وتقوى الإمام عليه السلام. فزهد الإمام وتقواه وعبادته كانت مرضاة لربّ العالمين، فما كانت عبادته طمعاً بالجنّة ولا خوفاً من عذاب النّار، بل كانت عبادة مخلصة حقيقيّة لوجه الله، وهذه العبادة هي عبادة الأحرار. (هيفا، ٢٠٠٥: ص٧٠٨).

يَصُومُ، يَطوِي، وَزُهدُ الأرضِ مَطمَحُهُ ... وَالخَلُّ مَأكلُهُ، وَالجُوعُ وَالعُشُبُ
يَختالُ في ثَوبِهِ المَرقُوعِ، مُرتَدِياً ... عبادَةَ اللهِ، فهيَ الغايَةُ الأرَبُ
مَن رَصَّعَ الهَامَ بِالتَّقوَى، فإنَّ على ... أقدامِهِ، يَسفَحُ الإبريزُ وَالذَّهَبُ

(الهاشم، ص٣٤)

والشاعر جوزيف الهاشم في قصيدة أخرى أنشدها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام بهذا العنوان "مشعل الثورتين"، يذكر فضائل، ونَسَب الإمام عليه السلام، ويذكر علوّ مقامه وشأنه، ويصف فضائل أمّه خير نساء العالمين وأبيه الذي اعتلى به الإسلام، ويذكر الشاعر مريم العذراء وبهذا يجعل العلاقة بين ديانة النصرانيّة والإسلام، فيقول:

يَـا ابْـنَ فاطِمَـةَ الزَّهْـراءِ يَـا ابْـنَ عَلـيٍّ ... وَأَيُّ مَجْـدٍ تَـراهُ بَعْـدُ، في القِمَـمِ
يَـا ابْـنَ خَيْـرِ نِسـاءِ العَـالَمِينَ، سَـمَتْ ... كطُهْـرِ مَـرْيم، في قُدْسِـيَّةِ الـرَّحِمِ
بِنْـتُ الرَّسُـولِ، وَ((بَعْـضٌ مِنْـهُ))، إنَّ بِهَـا ... تُصـانُ ذُرِّيَـةٌ لِلبَيْـتِ وَالحَـرَمِ
يَـا ابْـنَ العَلِـيّ، وَمَـنْ يَعْلُـو العَلِـيَّ سِـوَى ... إثنَـيْنِ: رَبِّـك فَـوْقَ الرُّسُـلِ كلِّهِـمِ
وَأحْمَـدٍ في دُنَـى الإسْـلامِ، قَـدْ خَتَمَـتْ ... بِـهِ النُّبُـوَّةَ، كَـفُّ الحَـاكمِ الحَكَـمِ

(الهاشم: ص٥٨)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى حديث من رسول الله ﷺ في حقّ بنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها الذي يبيّن علوّ شأنها ومقامها عند الرسول الأعظم ﷺ: ((إنّ فاطمة بضعة منّي)).

وحسبه أنّه رَبيب النبي المصطفى ﷺ، سبطه وقد تربّى في أحضان النبوّة، كان النبيّ ﷺ يقبّل ثغره من أيّام طفولته، و النبي ﷺ سمّاه ريحانة الشبّان؛

أمَـا الحُسَـيْنُ رَبِيـبٌ لِلنَّبِيِّ أمـانَ مَـا ... لَـهُ فـي فُـؤادِ الجَـدِّ إيثَـارُ
سَمَّـاهُ رَيحـانَةَ الشُّـبَّان حَـالِيَـةً ... عَلَـى الجِنـان شَـذَا الرَّيحَـان مِعْطَـارُ
وَقَبَّـلَ الثَّغْـرَ يَحْبُـو رُوحَـهُ نَسَمـاً ... كمَـا تَفَـاوحَ في الأسْحَـارِ أزْهَـارُ
أمَـا الحُسَـيْنُ وَرِيـثٌ لِلعَلِـيِّ فَتَـى الفِتْيَـان ... مَـنْ نَهجُـهُ فـي السِّـرِّ أسْـرَارُ؟

(شكور،)

وللشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسّيس قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، هذه القصيدة المعنونة ((ملحمة الحسين)) تقع في ١١٤ بيتاً، إنّ الشاعر في هذه القصيدة الطويلة مع توظيفه لأغراض الشعرية المختلفة كالمدح والصور الأدبية المتنوعة يذكر مقاطع من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، كما يذكر أسماء الأشخاص والأماكن التاريخيّة في واقعة كربلاء، أما من أبرز ميزات هذه القصيدة أنّ الشاعر قد ذكر فيها شهداء النصرانيّة في واقعة الطف، كـ: وهب النصراني و سفير روم في بلاط يزيد، ونرى من هذا الخلال أنّ الشاعر قد جعل العلاقة والربط بين دين الإسلام ودين المسيح. وأيضاً قد أشار الشاعر في أبيات من هذه القصيدة إلى رأس الحسين عليه السلام ورأس يحيى النبي عليه السلام.

فيذكر الشاعر في هذه القصيدة إلى فضائل الإمام عليه السلام ويعتقد أنّ الحسين عليه السلام وجهٌ رسوليّ، وهو سبط النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله يحمل رسالته النبويّة لجميع البشر، يقول الشاعر المسيحيّ المعاصر ريمون قسّيس؛

يَـا حَفِيـدَ النَّـبيِّ قَـدْ جِئْـتَ تُعْلِـي ... رايَـةً ثُرْتَجَـى لِعُـرْبٍ وفُـرْسِ
... هُـوَ مِنِّـي - قَـدْ قَالَهـا - أنَـا مِنْـهُ ... وَ((حُسَيْـناً)) سَمُّـوهُ مِـنْ غَيْـرِ لُـبْسِ
هُـوَ سِبْـطٌ مُطَهَّـرٌ كعَلِـيٍّ ... هاشِمِـيٌّ وَأمْـرُهُ لا لِرِجْـسِ

(قسّيس، ٢٠١١م، ص٢٤ و٢٥)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى الحديث النبوي القائل في حقّ الحسين عليه السلام: ((حسينٌ منّي وأنا مِنَ الحُسَين) الذي يدلّ على شأن الإمام ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام هو سبط النبي صلى الله عليه وآله وهو من بيوتٍ أذن الله أن ترفع، في بيت النبوّة الذي نزلت في حقّهم أية التطهير.

ويواصل الشاعر ريمون قسّيس أشعاره بذكر فضائل الإمام الحسين عليه السلام في قصيدته ((ملحمة الحسين))، فالإمام عليه السلام لابديل له في الشجاعة والجود، وهو ينبوع ومصدر الفطنة والكياسة معاً؛ وليس هناك من يسامي الإمام في هذه الخصال؛ فيقول:

جُـرْأةٌ في شُـجَاعَةٍ، جُـودُ كَـفٍّ ... لا يُجَـارَى، وَنَبْـعُ فَهْـمٍ وَنَـدْسِ[1]

(قسّيس، ٢٠١١م، ص٢٩)

والحسين عليه السلام هو أبو الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذي يُهتدى به كما يُهتدى بالفَرقَد بدون ذهاب ضوء أو إمحاء نور، فيقول الشاعر ريمون قسّيس:

وَ((حُسَـينٌ)) أَبُـو الأَئِمَّـةِ يَمشِـي ... في الـوَرَى فَرقَـداً بِـلا أيِّ طَمْـسِ

(همان، ص٣٣)

قد شبّه الشاعر في هذا البيت شأن الإمام عليه السلام في الهداية إلى نور النجم الذي يضيء طريق الحقّ للبشريّة فيهتدى به البشر.

والشاعر جوزيف الهاشم يصف الإمام الحسين عليه السلام بأنّه قد نذر نفسه الطاهرة، وقد

جاد بنفسه وهو غاية الجود ليكون شهيد الحق والعدل، فيقول:

مَنْـذُورَةٌ نَفْسُـكَ الشَّـمَّاءُ مُـذْ بُرِئَـتْ لِلْجُودِ بالرُّوحِ، مـا أسمـاهُ مِـنْ كـرَمِ

(الهاشم، ص٥٨)

٤- ٣- وصف مصائب أهل البيت عليهم السلام:

من القضايا التي يعتني بها الشاعر أثناء رثائه لكبار الشخصيات، هو ذكر المصائب والمحن والآلام التي شهدها وواجهها الشخص المرثي له في حياته، ليخفّف الشاعر بهذا عن أحزانه وآلامه ويجعل رثائه أكثر تأثيراً في المتلقي وإضافة إلى هذا، ليشرح للمتلقي مقاطع من واقع حياة المتوفّى في الماضي ليتعرّف عليه ويتأثّر من فقدانه.

أمّا أهل البيت صلى الله عليه وآله قد شهدوا في حياتهم كثيراً من المصائب والمحن، ولكنّهم تحمّلوا هذه المصائب مرضاةً لوجه الله ليقيموا دين الحقّ ويثبتوا العقيدة إلى أن استشهدوا في هذا السبيل.

فمن المصائب والمحن التي شهدها أهل البيت صلى الله عليه وآله في حياتهم وقد غيّرت هذه الحادثة مسار التاريخ بأكمله هي قضيّة السقيفة ووصاية أمير المؤمنين عليه السلام، فيوم السقيفة في تاريخ الإسلام هو اليوم الذي تبدأ فيه مصائب ومحن أهل البيت صلى الله عليه وآله، لأنّ حقّ الولاية والإمامة على المسلمين قد اغتصب من أمير المؤمنين وأبنائه وقد كان أمراً إلهيّاً وقد نزلت في هذا الشأن آية تعرف بآية إكمال الدين، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). وقد أبلغ النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية للنّاس في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة في غدير خم. ولكنّ الناس قد جهلوا هذه القضيّة ونكروها.

إنّ الشاعر المسيحي اللبناني يرثي اهل البيت صلى الله عليه وآله ويشير إلى هذه القضيّة ويعتقد أنّ يوم السقيفة هو اليوم الذي نكست فيه أعلام الإسلام وجهزت جيوش الكفر لصدّ دين الحقّ، وما كان هذا الأمر إلاّ غرائز وهوى النفس الذي اتّبعه قوم ضالّون، فيقول:

لَـولاك، يـا يَـومَ ((السَّـقِيفَةِ)) مـا التـوَت تِلــك الصُّفُــوفُ، ونُكسَــت أعــلامُ
ضَلَّــت بِــأحلامِ النُّفُــوسِ غَرائِــزٌ فَطَغَــى الهَــوَى، وَاختَلَّــتِ الأحكــامُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص١٩)

لا شكّ ولاريب أنّ واقعة الطفّ هي من أفجع الأحداث في تاريخ البشريّة، والمصائب والمحن التي شهدها آل البيت عليهم السلام في هذه الواقعة لا توصف مهما مرّت الأزمنة ودارت الأيّام فليس هناك من يستطيع أن يصفها كما كانت هي في واقعها. وقد وصفها الشعراء في العصور المختلفة ورثى لمصائبها وفي العصر الراهن نرى رثاء هذه الواقعة على لسان شعراء النصرانيّة من لبنان وهذا الرثاء يعتبر من أصدق الرثاء لأنّه يعبّر عن عاطفة صادقة رسمتها ريشة هؤلاء الشعراء.

إنّ الشاعر ريمون قسّيس في مقاطع من قصيدته ملحمة الحسين عليه السلام يذكر العقيلة زينب سلام الله عليها بحماس ولهفة، وبالاستعانة ببعض القصائد المنسوبة إلى سيدة كربلاء البطلة والتي تعبر عن لسان حالها، يقول في الابيات ٨٢-٨٥ من قصيدته:

زينــبٌ أنــتِ أختُــه خــيرَ أختٍ لطمــت وجهَهــا وصــاحَت: لتَعســى
عنــدما شاهدَتــه رأسَ حســينٍ أنشــدَت شــعرَها تُشــير بحَمــس
يــا هــلالاً لَمّــا استتــمّ كمــالاً أنهــت الحــربُ ناجذيهــا بضــرس
مــا توهّمــتُ يــا شقيــقَ فــؤادي كــان هــذا مــا حقّــق اليــومَ أمســي

(قسيس، ٢٠١١م: ص٣٧)

وأمّا الشاعر اللبناني المعاصر "جوزيف الحرب"، يرسم تلك المحن والمصائب التي حلّت بآل الرسول صلى الله عليه وآله ويتفجّع لمشاهد منها. فهو يرسم في أشعاره مشهد استشهاد الطفل الصغير الذي استشهد وقد حمله الإمام عليه السلام على يده. ويعتبر هذا المشهد من أفجع وأبشع مشاهد واقعة كربلاء والذي لن ينمحي من ضمائر البشريّة، عندما طلب الإمام عليه السلام شربة من الماء لطفله الصغير، ولكن جيش الأعداء قد رمى الطفل بسهم في عنقه بدلاً من الماء؛ فيقول:

أراك لا تنسينَ يا كربلاء كيف صاح به أحد الجند/ خذ.. اسقه/ وأوتر القوس ورمى الطفل بسهم اختلجت عليه أحشاؤه!/ فهبيني كربلاء أرح رأس طفل الحسين على يديّ/

هيبني ذؤابتيه المرسلتين/ وخلاخيل قدميه/ ومِشملته/ وقميصه المشقوق/ والعقد والعود والبكاء الذي ما ترسّل من بين أجفانه/ مخافة أن يتملح فمه إذا لا مست قطراتُ دمعه شفتيه. (العاملي، ١٤٢٢ق: ص٤٢).

٤-٤- دور أهل البيت عليهم السلام في احياء دين الإسلام.

لا شك أنّ أهل البيت عليهم السلام قدّموا حياتهم من أجل تثبيت الدين والعقيدة وقد جاهدوا في هذا السبيل إلى درجة الإستشهاد وتحمّلوا المشاق والتعذيب من قبل السلطات الظالمة آنذاك. فأهل البيت صلى الله عليه وآله هم معدن الرسالة ومفسّروا الوحي من بعد النبي صلى الله عليه وآله وقد كرّسوا حياتهم من أجل إحياء الدين المحمدي صلى الله عليه وآله وقد واجهوا في هذا السبيل الكثير من المعاناة فبهذا نرى الشاعر الملتزم في رثائه لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله يشير إلى دورهم ومنهجهم ومجاهداتهم في إحياء الدّين.

فنرى الشاعر المسيحي المعاصر ((جوزيف الهاشم)) يتطرّق إلى دور أهل البيت عليهم السلام في إحياء دين الإسلام ويعتقد لولا عليّ عليه السلام لما ارتفعت رايات الدين التي تدعو إلى الحقيقة والإيمان، ولم تكن هناك مساجد ليعلى ويكبّر اسم الله فيها، وبهذا يشير الشاعر إلى دور الإمام علي عليه السلام الحاسم في تعزيز الدين؛ فيقول:

سَيفُ الجِهادِ، فَتى، لَولاهُ ما خَفَقَت ... لِدَعوَةِ اللهِ، رَاياتٌ وَلا قُبَبُ

(الهاشم، ١٩٩٩: ص٣٤)

قد أراد الحسين عليه السلام من استشهاده في معركة كربلاء الذي كان من لدن الخالق، أن يترك للأجيال والأمم جمعاء أن تنغم بضراوة النضال وقداسة المواقف وغنائم الشهادة ليثبت بها دين الله. فيقول "ريمون قسّيس":

وَلَقَدْ عِشْتَ لِلرِّمَاحِ العَوَالِي ... فِي سَبِيلِ الإلهِ يُفْدِي بِنَفْسِ

(قسّيس، ص٢٤)

إنّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف هو رمز التضحية من أجل الدين والعقيدة، والشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسّيس مع وصفه لمواقف واقعة عاشوراء

واستشهاد الإمام عليه السلام، يصوّر مدّى دور الإمام الحسين عليه السلام في إحياء دين الله، فاستشهاده لم يكن إلاّ دعوة من الله وقد لبّاه الإمام عليه السلام من غير أن يوجس في نفسه خيفةً، فهو يقول:

قَتْـــلُ نَفْـــسٍ مِـــنْ أجْـــلِ رَبٍّ قَـــدِيرِ هُـــوَ أمْـــرٌ مِـــنْ غَيْـــرِ خَـــوْفٍ وَهَجْـــسِ

(همان، ٢٦)

وفي هذا المجال يصف ((جوزيف الهاشم)) ثورة الحسين عليه السلام ويعتقد أنّ هذه الثورة قد حقّقها الإمام عليه السلام من أجل إرساء الدين والعقيدة، ولولا هذه الثورة لما احتفظ دين الله، ولم يتحقّق سر خلق وابتداع العالم والكون لولا هذه الثورة؛ فيقول:

لَـــولاكم، لمـــا ارتَقَـــت للهِ ألويَـــةٌ وَخـــابَ سِـــرَّ ابتِـــدَاعِ الكـــونِ بِالنَّـــدَمِ

إن يَغـــدُرِ السَّـــيفُ، وَالإســـلامُ مُنتَصِـــرٌ فَالثَّغـــرُ يَفتَـــرُّ عِنـــدَ الحُـــزنِ وَالألَـــمِ

تَبكيـــكَ ثَـــورَةُ عاشُـــوراءَ في طَـــرَبٍ وَالـــدَّمعُ يَنســـابُ رَقـــراقاً مَـــعَ النَّغَـــمِ

(الهاشم، ص٦٥)

يشير الشاعر في هذه الابيات إلى انتصار الدم على السيوف، وهو انتصار حقيقي كما يعتقد أنّ شهداء كربلاء قد انتصروا بدمائهم في نهاية المطاف على أعداء الإسلام. وقد مزج الشاعر بين البكاء والطرب وبين الدمع والنغم وهذه من المحسنات البديعية والصور الأدبيّة التي منحت لهذا البيت جمالاً، ويصوّر الشاعر من خلال هذه المفارقة أنّ ثورة عاشوراء قد انتصرت وإن كانت هناك مصائب ومحن قد شهدها آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

النتيجة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت رثاء أهل البيت عليهم السلام في الشعر شعراء لبنان المعاصرين إلى هذه النتائج:

- إنّ أهل البيت عليهم السلام هم أسوة الإيمان والعقيدة، لأنّ حبّهم هو حبّ الإيمان والكمال والحريّة والشجاعة والعدالة والشهادة والقيم الإنسانية السامية، فليس عجيباً أن يشترك المسلمون وغير المسلمين في هذا الحبّ المعنوي.

أهل بيت صلى الله عليه وآله نمونه ى كامل انسانيت و ايمان و عقيده هستند، لذا عشق به أهل

بيت عليهم السلام در واقع عشق به انسانيت و ايمان و عقيده است و بدين جهت مايه ى شگفتى نيست كه افرادى از اديان ديگر به ايشان عشق بورزند و دفاع از ايشان را مورد اهتمام خود قرار دهند.

- قد تأثّر شعراء لبنان المعاصرين من عظمة أهل البيت صلى الله عليه وآله وفضائلهم، وقد نظموا الكثير من القصائد في رثائهم وقد تكلّموا فيها عن عظمة أهل البيت صلى الله عليه وآله وفضائلهم.
- قد اهتمّ الشعراء في العصور المختلفة برثاء آل البيت صلى الله عليه وآله، وفي العصر الراهن أيضاً نرى قصائد كثيرة في رثاء أهل البيت عليهم ونشاهد أصدق هذه القصائد على لسان شعراء لبنان المسيحيين.
- قد اهتمّ شعراء لبنان المعاصرين بعقيدة صادقة في رثاء أهل البيت عليهم السلام، وقد عبّروا في قصائدهم عن حزنهم وآلامهم من استشهاد أهل البيت عليهم السلام، وذكروا عظمتهم وفضائلهم، وقاموا بوصف المصائب والمحن التي قد حلّت بآل البطت صلى الله عليه وآله وقاموا بتبيين دورهم في إحياء دين الإسلام.

الملخص:

تقدّم هذه المقالة ظاهرة من أهمّ الظواهر الإنسانيّة ألا وهي الرثاء، إن الرثاء من أنواع الأغراض الشعريّة الذي يلتصق بالنوازع الإنسانيّة والاجتماعيّة والذاتيّة و... فالرثاء اعتنى به الشعراء منذ القديم، إن أشعار العصر الجاهلي التي نظمها الشعراء في رثاء الأقرباء والأصدقاء و... تبيّن لنا أنّ هذا الغرض من الشعر قد عرفه الشعراء من قديم. ولكن هذا الغرض الشعري لا يختصّ برثاء الأحبّة والأصدقاء بل يشمل رثاء العلماء، والحكام و... من النّاس. وبما أنّ أهل البيت صلى الله عليه وآله لهم المكانة العظيمة عند الشعراء في مختلف العصور فقد نظم الشعراء العديد من القصائد في رثائهم. وفي العصر الراهن أيضاً تناول الشعراء رثاء آل البيت صلى الله عليه وآله، فمنهم شعراء لبنان بذلوا جهداً وعنايةً في نظم الأشعار في رثاء آل البيت صلى الله عليه وآله. فنسعى في هذا المقال أن ندرس موضوع رثاء أهل البيت صلى الله عليه وآله في شعر شعراء لبنان المعاصرين وأن نقدّم نماذج من أشعارهم ونقوم بدراسة الفنون الأدبيّة والمواضيع التي تطرّق إليها

هؤلاء الشعراء في رثاءهم لأهل البيت ﷺ. وسبب اختيار موضوع هذا المقال يعود إلى هذا الأمر أنّ الرثاء ظاهرة إنسانيّة فريدة تلتقي مع التعاليم السامية وخاصّة إذا كان الرثاء يختصّ بآل بيت الرسول ﷺ. وسنعتمد في دراسة هذا الغرض طريقة التحليل الوصفي وفق المنهج المتكامل. وقد درسنا في هذه الدراسة أشعار شعراء لبنان المعاصرين كـ: جوزيف الهاشم، بولس سلامة، ريمون قسيس، و جوزيف الحرب.

الكلمات الدليليّة: الرثاء- اهل بيت عليهم السلام – الشعر العربي- شعراء لبنان المعاصرين.

Abstract

Pathos is one of the themes and literary genres that has long been regarded pets, poems which were written by poets of per-Islamic because of the grief of losing dearest relatives, represent archaism this them of literary Arabic. Although this genre does not have the dearest relatives but sometimes it is written in grief of losing scholars and rulers. Ahl-o-Beit (peace be upon them) whom always had a high position in human societies; they have always attracted the attention of poets. And prominent poets of ever literary era have written poems in grief of this family. In contemporary era also the pathos of Ahl-o-Beit is taken into consideration poets, including the contemporary poets Lebanon have paid special attention to the greatness of this family and their poems have always been in the family elegy. In this article, we try to examine the pathos of Ahl-o-Beit in contemporary poetry in Lebanon, and to provide examples of their poetries, we analyzed the features, literary technics and the topics that considered by the poets in pathos of this family. In this research we study the works of joseph Al-hashem, boulos salama, raymokd kassis, and joseph Al-harb.

Keywords : pathos - Ahl – o - Beit (peas be upon them) - Arabic literary - contemporary poets Lebanon . □

هوامش البحث

(١) نَدْس: زيركى.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن فارس، أحمد (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن منظور، جمال الدين بن محمد (١٩٩٧م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- الجمحي، ابن سلاّم (١٩٧٤م) طبقات فحول الشعراء، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد (بلا تاريخ). تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.
- الخطيب، بشرى محمد علي (١٩٧٧م) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مديرية مطبعة الإدارة المحليّة، بغداد.
- زمخشرى، جار الله محمود (١٩٧٩م). أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة.
- سلامة، بولس (١٤٢٣هـ). عيد الغدير. قم: مطبعة أفق.
- ضيف، شوقي (١٩٦٠م). تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط٤، دار المعارف.
- ضيف، شوقي (١٩٨٨م). فنون الأدب العربي، الرثاء، ط٤، القاهرة: دار المعارف.
- العاملي (١٤٢٢هـ.ق). الانتصار مناظرات الشيعة في شبكات الانترنت المجلد التاسع دفاعاً عن مراسم عاشوراء وقداسة كربلاء والتربة الحسينية. الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار السيرة.
- عبّود، مارون (١٩٦٠م). أدب العرب، بيروت، دار الثقافة.
- قدامة بن جعفر (١٣٠٢هـ.ق). نقد الشعر. مطبعة الجوانب - قسطنطينية.
- القيرواني، أبو الحسن ابن رشيق (١٩٧٢م). العمدة، دار الجيل، بيروت، ط٤.
- النعمة، مقبول على بشير (١٩٩٧م) المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، دار صادر، بيروت.
- هيفا، راجي أنور (٢٠٠٥م)؛ الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر. لبنان: دار العلوم.